التعاون الأورو متوسطي في ظل تنامي اليمين المتطرف في أوروبا

د. صورية تريمة

أستاذة محاضرة، قسم العلوم السياسية،جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

يعد صعود اليمين المتطرف في أوروبا ظاهرة متكررة، ففي الثمانينات من القرن الماضي، حقق اليمين الأوروبي المتطرف عدة اختراقات، أثبتت أنه بات يشكل قوة سياسية لافتة علي الساحة الأوروبية . وفي معرض تناول ظاهرة صعود اليمين الأوروبي في الآونة الراهنة، فإن التفسيرات تتراوح بين تداعيات الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالقارة العجوز، وقضايا التعددية الثقافية، ومعاداة الإسلام علي وجه الخصوص، بالإضافة إلي أزمة الأحزاب السياسية التقليدية والكبيرة في الدول الأوروبية .

يلاحظ أن تنامي الشعور المعادي للمهاجرين في أوروبا ساعد علي إفراز موجة شعبية يمينية اتسع نطاقها وامتد من شواطئ البحر المتوسط إلي حدود الدول الاسكندنافية الباردة . هذا الشعور المعادي للمهاجرين في أوروبا ارتكز علي فكرة (مسطحة) مؤداها أن هؤلاء الأجانب هم من أهم أسباب تفاقم أزمة البطالة، وقلة فرص العمل أمام أهل البلاد الأصليين، الأمر الذي يستوجب من وجهة نظر الأحزاب اليمينية المتشددة طردهم من البلدان الأوروبية، وهي الشعارات التي رفعتها هذه الأحزاب لكسب أصوات الناخبين لصالحها في الانتخابات، مستغلين في ذلك ظروف الأزمة الاقتصادية، وسيادة حالة الاحباط من جراء سياسات التقشف التي تفرضها الحكومات الأوروبية . وفي ضوء هذه الحالة القلقة والمضطربة ، يتم استخدام " الخطاب الشعبوي "، المخل بالحقائق، والمتعامي عن أصول المشاكل، مما يجد صداه لدى شرائح من السكان لديها الاستعداد لتقبل هذه الشعارات.

ومع ذلك، فإن القلق الذي صاحب صعود اليمين في غالبية البلدان الأوروبية أثار التساؤلات عما إذا كان الناخب الأوروبي يقتنع فعلا ببرامج هذه الأحزاب بعد فشل الأحزاب الوسطية أو الاشتراكية في تحقيق طموحاته، أم أن الأمر لايعدو أن يكون حالات استثنائية يتم

فيها استغلال ظروف الأزمة ؟ وللرد علي ذلك يقول الباحث الأوروبي " فولفجانج كابوست " إن الأحزاب اليمينية تستغل حزمة من المخاوف تنتشر بين الناس في الوقت الراهن " ففضلا عن الأزمة الاقتصادية، هناك الخوف مما يطلق عليه " أسلمة أوروبا " الذي روج له مثلا حزب "الحرية " اليميني المتطرف في هولندا، في محاولة لكسب أصوات الناخبين، بغض النظر عن مدي واقعية هذا الشعار، حيث لايمثل المسلمون سوي 6 % من السكان. وعموما، يتردد أن الاستراتيجيات الشعبوية المعادية للأجانب تجد آذانا صاغية من جانب الشعوب الأوروبية . ويجدها اليمين المتشدد فرصة لنشر نداءاته، تحت ذريعة الحفاظ على الهوية، وحماية "أوروبا الجميلة " من الأجانب.

ولا شك أن صعود اليمين ونزعته المعادية للمهاجرين المسلمين تحديداً في هذه المرحلة التاريخية، إنما يعود لكثير من العوامل من قبيل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعصف بكبريات اقتصادات أوروبا، غير أن المشجب الذي بات يعلق عليه هؤلاء مشاكلهم، أصبح وجود المسلمين وممارساتهم التي يراها الكثيرون في هذه الدول لا تتماشى مع التقاليد الليبرالية الأوروبية ومع الروح القومية السائدة في هذه الدول مما ينعكس سلبا على الشراكة الأورومتوسطية و من ثم على مستقبل العلاقات بين ضفتي المتوسط.

Résumé:

Depuis une décennie‹le paysage politique européen est marqué par une progression importante des mouvements d’extrême droit. Que sont ils ?sur quoi prospèrent –il ? Quelles réponses peuvent opposer les gauches européennes ?état des lieux des débats identitaires qui agitent l’Europ ? et enfin les répercussion sur la coopération Euro-méditerranéenne ?

Délection en élection ‹les partis d’extrême droite semblent se renforcer la succession d élections tenues en 2010 offre un concentré saisissant de la montée de ces mouvements ‹qui pèsent de plus en plus sur les scènes politiques nationales.

L’ extrême droite évolue ‹se transforme ‹se rajeunit aussi. Et pourtant ‹les ressorts n’ont guère changé. Elle prospère toujours sur les deux mêmes éléments: le désarroi économique face a’ la violence d’une mondialisation non maitrisée part ‹un malaise identitaire et une crainte de dilution des nation d’autre part ; avec une obsession particulière sur l’ISLAM (l’islamophobie).

Ces dernières années ‹de nombreux pays de l'Union Européennes ont vu le poids politique des partis de l'extrême droit ‹voire néo-faxistes défavorable a' la construction européenne et a' l'immigration ‹s'accroitre de façon alarmante (particulièrement pour l'avenir de l'Europe ‹et les défis de ces relation avec son voisinage sud Méditerranéen).

مقدمة:

تكمن أهمية دراسة موضوع اليمين المتطرف في أوروبا خاصة في ظل بروزه على الساحة السياسية الأوروبية كإحدى أكثر الظواهر السياسية أهمية خلال العقدين الأخيرين من القرن المنصرم في أوروبا، وقد أضحى الخوض في موضوع اليمين المتطرف شكلا من أشكال الحديث عن « العنصرية الثقافية» هذه الأخيرة إرتبطت بجزء كبير منها بفكرة رفض المسلمين في أوروبا من جهة، ومعارضة مشروع الإتحاد الأوروبي من جهة أخرى.

هناك العديد من العوامل التي ساعدت في تنامي الحركات اليمينية المتطرفة وتأثير خطاباتها على الجماهير الأوروبية إلى الحد الذي أصبحت تهدد فيه مستقبل الإتحاد الأوروبي و علاقاته مع جيرانه المتوسطيين ؛ومن ثم تنبئ بنزاعات قومية – دينية تعيد أوروبا إلى عصرماقبل نظام وستفاليا، ومعها يتحول حوض البحر المتوسط إلى منطقة يغيب عنها الأمن وحسن الجوار وهومابنعكس بالسلب على مبادرات التعاون الأورومتوسطية التي تجمع الضفتين.

مما تقدم ينطلق الموضوع من فرضية أساسية مفادها أن ملامسة الخطابات اليمينية المتطرفة لواقع المواطن الأوروبي جعلها تحظى بقبول واسع لدى الجماهير الأوروبية،وهذا ما عرقل المسار الوحدوي الأوروبي و مشروعات التعاون في حوض المتوسط. .

ظاهرة اليمين المتطرف:

التعريف:

هو مصطلح سياسي يطلق على التيارات والأحزاب السياسية لوصف موقعها ضمن محيطها السياسي (1).

يطلق المراقبون السياسيون هذا المصطلح على الكتل والأحزاب السياسية التي لا يمكن إعتبارها من ضمن جماعات اليمين السياسية التقليدية أو المعتدلة.

ويكمن الاختلاف بين الفئتين في أن المعتدلة أو ما تعرف بالتقليدية تدعو إلى حماية التقاليد والأعراف داخل المجتمع، في حين تدعو المتطرفة إلى إستعمال السلاح لفرض التقاليد ولذلك فهي عادة ترفض هذا الوصف لأنها تدعي أنها تمثل الاتجاه العام و تنقل صوت الأغلبية (2).

عوامل إنتشار اليمين المتطرف:

انهيار الإتحاد السوفيتي و قد صاحب ذلك تفكك جمهورياته (أو ما يعرف بدول أوروبا الشرقية) وانضمامها للإتحاد الأوروبي، مما نتج عنه إهتماما وتمسكا بالأصول القومية و العرقية لكل دولة على حدى (3). الأزمة الإقتصادية العالمية، وما صاحبها من ركود إقتصادي في أوروبا أدى إلى إنتشار للبطالة في القارة، جعلت الأوروبيين ينظرون بعين الريبة إلى الأجانب الذين يرون فيهم مزاحمين على الوظائف وخاصة المسلمين منهم (4). انطلاقا من ذلك ظهرت دعوات إلى التصدي للهجرة و التضييق على المهاجرين، بل أكثر من ذلك أصبحت ردود الأفعال العدائية تجاه العرب برنامجا إنتخابيا لدى بعض الأحزاب اليمينية الأوروبية.

قراءة في جذور اليمين المتطرف... إجتماعيا وسياسيا...

إن ما يوحد هذه الأحزاب اليمينية المتطرفة الأوروبية هو إجماعها على الرفض العرقي والعداء للأجانب و المهاجرين من خارج البلاد و خاصة من العالم الثالث حيث تعبر هذه الأحزاب عن فكر قومي محلي يتصف بالعدائية لكل ماهو أجنبي.

مع ملاحظة أن هذا العداء كان موجودا دائما في المجتمعات الأوروبية وكانت تمثله أحزاب اليمين " المعتدل"(5).

إلا أن التعصب القومي و الرفض الوطني لم يكن يحتل هذه الأهمية المحورية في برامج تلك الأحزاب كما هو الحال بالنسبة لأحزاب اليمين المتطرف الأوروبي، التي جعلت من قضية الهجرة المبرر الأساسي لوجودها. جذور هذا العنف تجاه المهاجرين، نجدها في بعض الأعمال الأدبية، مثلما هو الحال في رواية «الغريب » ل. ALBERT CAMUS – عندما يقوم بطل الرواية « أنطوان مارسو » بقتل عربي عند شاطئ البحر.

وفي نفس الإطار يأتي الفلم السينمائي الذي قدمه المخرج الفرنسي « ماثيو كاسونتيش » تحت عنوان « الكراهية »(6)حول الأوضاع في ضواحي باريسBaulieu – Parisienne

بالإضافة إلى ذلك، يجند اليمين المتطرف أتباعه من خلال تقديم إجابات بسيطة للشباب حديثي السن على إنشغالاتهم المتعلقة بالبطالة في الإجابة الآتية =الحل هو طرد كل الأجانب.

ومع وجود أكثر من 2500 موقع مسجل على شبكة الأنترنت يعكس فكر جماعات المتطرفة، فإنه من الصعب على السلطات مراقبة الجماعات المتطرفة فهذه الأخيرة « تنشر رسالتها » يشكل مكتف عبر الإنترنت على مواقع الشبكة وفي غرف المحادثات المتبادلة و الشبكات السرية و جماعات المراسلة و البريد الإلكتروني..

يعد صعود اليمين المتطرف في أوروبا ظاهرة متكررة، ففي الثمانينات من القرن الماضي، حقق اليمين الأوروبي المتطرف عدة إختراقات، أثبتت أنه أصبح يشكل قوة سياسية لافتة على الساحة الأوروبية، وفي معرض تناول ظاهرة صعود اليمين الأوروبي في الآونة الراهنة، تعددت التفسيرات بين تداعيات الأزمة الإقتصادية، وقضايا التعددت الثقافية، و معاداة الإسلام على وجه الخصوص...(7).

والملاحظ أن تنامي الشعور المعادي للمهاجرين في أوروبا ساعد على إفراز موجة شعبية يمينية إرتكزت على فكرة مؤداها أن هؤلاء الأجانب من أهم أسباب تفاقم أزمة البطالة، وقلة فرص العمل أمام مواطني الدولة الأصليين، الأمر الذي يستوجب من وجهة نظر الأحزاب اليمينية المتشددة طردهم من البلدان الأوروبية، وهي الشعارات التي رفعتها هذه الأحزاب لكسب أصوات الناخبين لصالحها في الإنتخابات، مستغلين في ذلك ظروف الأزمة الإقتصادية وسياسات التقشف التي تفرضها الحكومات الأوروبية.

على ضوء هذه المعطيات يتم إستخدام « الخطاب الشعبوي » البعيد عن الحقائق والقافز عن أصول المشاكل، والذي يجد صداه لدى شرائح من السكان لديها الاستعداد لتقبل هذه الشعارات، في ظل تنامي الخوف مما يطلق عليه « أسلمه أوروبا » الذي روج له مثلا حزب « الحرية » اليميني المتطرف في هولندا، في محاولة لكسب أصوات الناخبين، بغض النظر عن مدى واقعية هذا الشعار، حيث لايمثل المسلمون سوى 6% من السكان(8).

أما بداية التوجه اليميني المتطرف في صورته الحديثة في أوروبا، فكانت في تسعينيات القرن الماضي بالتزامن مع بروز خطر جماعات اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية عقب تفجيرات « أوكلا هوما » عام 1995 بشاحنة ملغومة، والذي أسفر عن مقتل 168 شخصا، وهي الحادثة التي ألصقت بالإسلام قبل أن يتضح أن منفذها هو اليميني الأمريكي المتطرف « تيموثي ماكفاي » تم كان ظهور ما عرفوا بجماعات " النازيين الجدد " في ألمانيا وبعض دول أوروبا الشرقية(9).

أهداف اليمين المتطرف و مميزاته:

يمكن القول إن أحزاب اليمين في أوروبا مجمعة على الأهداف التالية: (10).

إيقاف هجرة الأجانب إلى أوروبا بل وحتى طرد الأجانب من أوروبا إذا أمكن.

الحقد على الطبقة السياسية التقليدية سواء أكانت من أحزاب اليمين أو اليسار على حد سواء، و يرافق ذلك كره الديمقراطية النيابية؛ كره الاشتراكية و العدالة الاجتماعية بشكل عام و تأييد الرأسمالية على المستوى الاقتصادي؛ المحافظة على القيم التاريخية و التقليدية لمجتمعاتها، و بالتالي فهي تولي أهمية بالغة لسياسات الإندماج، معظم هذه الأحزاب مضادة لمشروع الوحدة الأوروبية لأنها تخشى أن يؤدي إلى تذويب القوميات في دولة واحدة.

هناك ثلاث (03) ميزات مختلفة تصوغ الهوية السياسية لأعضاء الأحزاب اليمينية المتطرفة، وهذه الخصائص هي:

الخاصية الأولى: هي صلتها الحقيقية أو المزعومة بالحركات الفاشية التي سادت أوروبا خلال فترة ما بين الحربين، إذاً: الأحزاب والحركات التي تستند وتفتخر بجذورها العائدة إلى الماضي الفاشي "باليمين المتطرف".

الخاصية الثانية: ما يميز اليمين الراديكالي المعاصر هو احتقاره للمهاجرين، و استيائه من سياسات الهجرة التي تنتهجها الحكومات الوطنية، وتشدد هذه الفئة على تقييد الهجرة لأن القادمين الجدد منحطون ثقافيا أو عرقيا، و هذه الفئة يمكن وصفها "بالعنصرية".

الخاصية الثالثة: تزعم الأحزاب المناهضة للمهاجرين، أنها تمثل القومية الوطنية الحقيقية.

تحاول الأحزاب اليمينية المتشددة و الجماعات الموالية لها، و بشكل دوري، تنظيم تظاهرات في مدن أوربية عدة، يلجؤون من خلالها، للتعريف بأفكارهم، ونشر شعاراتهم المعادية للمهاجرين. وفي صيف العام الجاري، وقعت أعمال شغب في مدينة اسكلستونا السويدية، رافعين شعارات ضد المهاجرين، اثر تظاهرة، وصفت بالأعنف من نوعها، شاركت فيها أعداد كبيرة من النازيين مما أدى الى تدخل لعناصر الشرطة السويدية، التي احتشدت بكثافة، مستخدمة الغازات المسيلة للدموع، فيما أوقفت حركة القطارات، منعا لوصول المزيد من تلك الجماعات. وفي ربيع العام الجاري، تظاهر المئات في العاصمة، ستوكهولم، ربيع العام الجاري، في تظاهرة هي الأوسع من نوعها(11).

ويرافق مثل هذه التظاهرات، أخرى مضادة، ينظمها، مهاجرون من مختلف الجنسيات، كما يشارك فيها سويديون و خاصة من شبيبة الحزب الاشتراكي الديمقراطي، الذي يملك قاعدة شعبية واسعة لدى المهاجرين. ولا تخلو اية تظاهرات من هذا النوع من وجود عناصر الشرطة، اذ تثير الشعارات التي يرفعها النازيون، غضب المهاجرين، مما يؤدي الى وقوع صدامات بين الجانبين(12). لكن لا تتوقف نشاطات النازيين و اليمينين المتطرفين على التظاهرات فقط، بل هناك المؤتمرات والزيارات المتبادلة، وفي أواخر، تشرين الثاني (اكتوبر) الماضي، زار السياسي الهولندي "كيرتفيلديرز" المعروف بعداءه للإسلام و المسلمين و المنتمي الى حزب الحرية الهولندي، المناهض للمهاجرين، زار مدينة "مالمو" السويدية، تلبية لدعوة، وجهت اليه من قبل منظمة سويدية، تدعي ان الأعلام السويدي يفرض رقابة على الأخبار المتعلقة بالمهاجرين.

اليمين المتطرف وإشكالية الاندماج و الهوية:

من بين الإشكاليات التي يثيرها اليمين المتطرف بشدة إدماج المهاجرين في المجتمعات الأوروبية إذ يعتمدون خطابا عنصريا، فيقولون أن هؤلاء من الصعب إدماجهم في هذه المجتمعات الجديدة عليهم كليا بحكم أن هؤلاء المهاجرين قادمين من بلدان لا تحكمها القوانين بل حكومات دكتاتورية، لا تعير للمواطنة أية اهتمام، مما يجعل الفرد القادم منها غير قادر في بعض الأحيان على العيش في دولة المؤسسات تسير عجلتها وفق آليات مدروسة بدقة وعناية شديدين(13). وعلى أساس ذلك تتولد هوة كبيرة بين المهاجرين و أبناء البلد الأصلين، إذ أن الكثيرين لا يمكنهم التكيف مع مجتمعهم الحديث، بل ولا يجيدون التحدث بلغته. بالإضافة إلى اتهامهم بتعمد. عدم الاندماج للحفاظ على معتقداتهم و تقاليدهم التي استقدموها من بلدانهم الأصلية. ومن هنا تطرح إشكالية أخرى و تتمثل في: الهوية(14).فقد ركز اليمين المتطرف على وجود أعداد هائلة من المهاجرين غير الأوروبيين وينظر إلى وجودهم كتهديد ثقافي و اقتصادي، فقد أشار "روزنبورغ " إلى أن اليمينين يصورون أنفسهم كمدافعين عن الحضارة الاوروبية المهددة من قبل الغزاة وبشكل أكثر المسلمين فهؤلاء هم الذين تستهدفهم تلك الحركات في المقام الأول(15).ومن ثم معارضة ما أسموه "بأسلمة فرنسا وكرر الزعيم اليميني المتطرف الفرنسي "لوبان" مقولته:"الفرنسيون أولا "، واعتبر المسلمون مصدر ثقافي وديني خطير، ووصف زيادة أعدادهم بالغزو الذي هدد النقاء العرقي.

ومع الهاجس الامني الذي ولدته أحداث 11ديسمبر2006 وما روج له المفكرون لما يسمى بصراع الحضارات، و جد اليمين المتطرف التربة المناسبة لترويج أفكاره واضعا بحدة مسألة الهوية الوطنية، زارعا في أوروبا التخوف من كل ما هو مسلم، فانتشرت فكرة الاسلاموفوبيا بشكل كبير، وهناك قراءات مختلفة لأسباب صعودها كظاهرة خلال الآونة الأخيرة منها قراءة ثقافية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا هو انعكاس لمشاعر سلبية عميقة مدفونة في وعي المواطن الغربي ضد الإسلام و المسلمين، و تعبير عن عداء تاريخي و ثقافي ضد الإسلام كدين و ضد المسلمين كحضارة(16).

وقراءة ثانية ترى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا هو نتاج لبعض الأحداث الدولية، التي أثرت بقوة على العلاقات بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية خلال السنوات الأخيرة، وعلى رأس هذه الأحداث هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 وما تبعها من هجمات إرهابية ضربت مجتمعات غربية مختلفة مثل إسبانيا و بريطانيا. إضافة إلى بعض المشكلات الثقافية الدولية التي أثرت سلبا على العلاقات الإسلامية –الغربية، مثل أزمة الرسوم الدانمركية، و أزمة تصريحات البابا بنديكت السادس عشر، و أزمة الحجاب في فرنسا و تصريحات بعض القيادات الغربية الدينية و السياسية المسيئة إلى المسلمين(17).

أما القراءة الثالثة المطروحة في هذا المجال فهي قراءة سياسية اقتصادية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا خلال السنوات الأخيرة انعكاس لبعض التغيرات المجتمعية الكبرى التي لحقت بالمجتمعات الغربية و الإسلامية خلال العقود الأخيرة، وعلى رأس هذه التحولات تراجع قوى اليسار الغربي التقليدية، التي سادت خلال النصف الثاني من القرن العشرين و صعود قوى اليمين الثقافي و الديني في الغرب والعالم الإسلامي خلال الفترة ذاتها(18). فمنذ سنة 2009 و المنظمات الحقوقية الدولية تحذر من تزايد عدد و أنشطة جماعات اليمين المتعصب في وسط و شرق أوروبا، و أن عددا كبيرا منها تحول إلي تنظيمات « شبه عسكرية » محترفة تمارس العنف ضد الأقليات العرقية، في وقت يتنامى فيه التأييد الشعبي للحركات و الأحزاب المتطرفة جراء تداعيات الأزمة الاقتصادية.

تأثير اليمين المتطرف على المسار الوحدوي الأوروبي:

من منطلق اشتراك أحزاب اليمين المتطرف بعدد من الأهداف و الشعارات مثل معارضة الهجرة،التعصب للعرق و الجنس و معاداة الأجانب، و انتقاد الطبقة السياسية الحاكمة،في طريق المسار الوحدوي الأوروبي. (19).

فإن السؤال المطروح هنا هو: كيف أثرت الأفكار التي ينادي بها اليمين المتطرف على المسار الوحدوي الأوروبي ؟ و ما مستقبل هذا الأخير في ظل تنامي اليمين المتطرف ؟

من المعروف أن التيار اليميني المتطرف عموما لديه مشاعر معادية للإتحاد الأوروبي، إلى حد الكراهية(20). لأنه يخشى أن يؤدي هذا المشروع إلى تذويب القوميات في دولة واحدة، فهي تؤمن بأولوية الثقافة الوطنية ثم الحضارية للقارة، إذ تطالب أحزاب اليمين المتطرف بإنقاذ القيم الأساسية للحضارة الغربية المهددة وفقا لهم من قبل العولمة و فكرة المواطنة العالمية. فاليمين المتطرف الفرنسي يشعر بأنه فرنسي أو لا قبل أن يكون أوروبيا و الأمر ذاته عند اليمين المتطرف الألماني أو الهولندي(21).

وهذه المعاداة أكدتها تخوفات الإتحاد الأوربي من خلال النجاح الذي حققه اليمين المتطرف في الانتخابات التشريعية السويدية في 2010 و هو ما أثار قلق الإتحاد الأوربي الذي يخشى من تداعي تراجع مفهوم العيش المشترك، فخلال الانتخابات الأوربية في 2009 حقق اليمين المتطرف نتائج مرتفعة النسب في سبع دول أعضاء في الإتحاد الأوربي هي: هولندا، بلجيكا، الدانمرك، المجر، النمسا، بلغاريا، و إيطاليا(22).

و قد أدى تنامي اليمين المتطرف في أوروبا إلى زيادة الحركات الانفصالية، و ذلك بفوز الحزب القومي البلجيكي، بالانتخابات البلدية و الولائية، حيث ينظر إليه المراقبون على أنه تعقيد للوضع السياسي ببلجيكا و أنه يقوي الحركات الانفصالية التي تتزايد مع الأزمة الأوروبية، ففي الوقت الذي تتصاعد فيه نزعات الاستقلال أو الانفصال في أوروبا يطالب إقليم كتا لونيا بالاستقلال عن إسبانيا و اسكتلندا بالاستقلال عن بريطانيا و الشمال الايطالي عن ايطاليا. و بهذا تكون الأحزاب اليمينية من أكبر القوى السياسية المؤثرة في المنطقة و يعتبر هذا مؤشرا على اتجاه الناخب الأوروبي نحو التصالح مع دعاة الحكم الذاتي و التقسيم و الاستقلال عن بروكسل(23).

كما دعا زعيم حزب الحرية اليميني في هولندا "خيرت فيلدرز " أحد مراكز البحوث الدولية الاقتصادية للبحث في جدوى ترك عملية اليورو و العودة إلى الجولدة التي كانت متداولة حتى عام 2002، حيث أظهر تقرير صدر عن المركز الهولندي لسبر الآراء (موريس دي هوند) أن ثلثي الهولنديين يحبذون العودة إلى الجولدة، و أن 72% من مناصري اليمين في هولندا المعادي لوحدة أوروبا يؤيدون الاستغناء عن اليورو(24).

كل هذا أدى إلى إفشال الاستفتاء على الدستور الأوروبي الموحد لأنهم يرون فيه ضياع للخصوصيات و ذوبان للوطنية. و قد اختلفت وجهات النظر فيما يخص مستقبل أوروبا في ظل تنامي اليمين المتطرف وجهة النظر الأولى يتبناها الكاتب النرويجي "غير ددينغوردزهاوغ " يتنبأ فيها بمستقبل مظلم لأوربا و دخولها في حروب أهلية بين جماعات اليمين المتطرف وجماعات دينية أخرى من القوميين، حيث أن هذه الحرب سوف تقضي على الديمقراطية الأوروبية و إحلال الحكم الدكتاتوري محلها.

أما وجهة النظر الثانية فقد عبر عنها الكاتب " إيفارإيفريسن " حيث قال أن أوربا قادرة على مواجهة التحديات و أن الديمقراطية الأوروبية اليوم هي أكثر رسوخا من ذي قبل(25).

إن مستقبل أوروبا الموحدة في ظل تنامي اليمين المتطرف يكمن في مدى نجاعة الحلول التي ستقدمها لحل الأزمة المالية و القضاء على الظواهر التي تشكل تهديدا لأمن و رفاهية شعوبها وقد إنعكس ذلك على مواقف الإتحاد الأوروبي القوية تجاه اليمين المتطرف المعادي للأجانب.

ففي عام 2000 جرى إقصاء النمسا عن شركائها الأوروبيين بسبب دخول ممثلين لحزب اليمين المتطرف (إف. بي. أو) للبرلمان. و عليه فإن الرئاسة الدورية للإتحاد الأوروبي، منعت دول الإتحاد دعم مرشحين نمساويين لتولي مراكز في جمعيات دولية. ..

و السؤال الذي يطرح هنا: إلى أي مدى يتحمل الإتحاد الأوروبي مسئولية الإختراقات التي حققها اليمين المتطرف ؟

تذهب الحقوقية و المستشرقة الألمانية من أصل فلسطيني « ناهد سمور » إلى أن العداء للإسلام ليس " وقفا " على الأحزاب اليمينية المتطرفة وحدها، بل هي « ظاهرة عامة في أوروبا و موجودة لدى الأحزاب المحافظة و العمالية و الخضر و اليساريين أيضا ».و تضيف بأن هناك « خوفا في المجتمعات الأوروبية (المسيحية) » من فقدان هويتها، يمكن إرجاع ذلك لأسباب تاريخية تعود إلى فترة ظهور « الدين الإسلامي » الذي إعتبر نقيضا للمسيحية و اليهودية(26).

تأثير الخطابات اليمينية المتطرفة على التعاون الأورو متوسطي:

إن إدراك أوروبا لأهمية جوارها المطل على المتوسط حتم عليها منذ الستينات من القرن الماضي أن تكون لها سياسة موحدة تجاه المنطقة، سياسة متغيرة و مسايرة للتطورات الكثيرة التي عاشها هذا الجوار. هذا الاهتمام كان في البداية اقتصاديا بحتا و بقي متواصلا إلى نهاية فترة الثمانينات و بداية التسعينات حيث بدأت تبرز الهواجس الأمنية التي أصبحت تشكل المعطى الجديد في معادلة العلاقات الأورومتوسطية و هو ما فرض على أوروبا أن تعيد ترتيب أولوياتها تجاه دول جنوب المتوسط، آخذة في الاعتبار خطابات الأحزاب اليمينية المتطرفة(27). وقد انعكست هذه الخطابات فيما بعد على مشاريع التعاون الأوروسطي، إلى الحد الذي أوقع دول أوروبا في تناقض مع نفسها، فهي من جهة تؤكد في اتفاقياتها و مبادراتها مع الدول العربية المتوسطية على أهمية التعدد الثقافي و التسامح و حرية المعتقد في سبيل بناء منطقة أمن و استقرار في المتوسط، لكن من جهة أخرى نجد أن الواقع يذهب إلى عكس ذلك حيث أن الممارسات الأوروبية تتبنى مقاربة يغلب عليها الحذر صنعتها فكرة صراع الحضارات و استيقظت من جديد مقولة "الشرق شرق، و الغرب غرب "(28). وما يؤكد ذلك هو الاتجاه الذي تأخذه بعض الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا و الذي لا يرفض فقط التعددية الثقافية و الدينية، بل أكثر من ذلك، إذ صرح رئيس حزب الحرية الهولندي العام الماضي قائلا: "إذا وقعت القدس في أيدي المسلمين فإن أثينا وروما ستلحقان بها، و بالتالي فإن القدس هي خط الدفاع الأول عن الغرب وهو ليس صراعا على الأرض، بل صراع أيديولوجي بين الفكر الغربي المتحرر و إيديولوجية البربرية الإسلامية(29). هذه الأفكار ليست موجودة على الصعيد الرسمي في أوروبا فقط، بل أصبحت متجذرة في أذهان الفئات الشعبية و الجماهير الأوروبية، ما يجعل البحر المتوسط خطا فاصلا بين حضارتين / ثقافتين قد تنغمسان في صراع حقيقي، صراع من أجل البقاء على قيد الحياة بالنسبة لشعوب جنوب المتوسط (المهاجرين) و صراع من أجل الحفاظ على الحضارة و الخصوصيات الثقافية بالنسبة لأوروبا لحماية نفسها و هويتها من غزو القوى العاملة من غير الجنس الأبيض إليها(30). في هذه الأجواء من الخوف من " الآخر" و سعيا للحفاظ على " الأنا " لا يمكن الحديث عن تعاون أورومتوسطي حقيقي يدفع نحو التقارب و الانفتاح، خاصة في ظل تنامي الحركات الإسلامية و استلامها مقاليد الحكم بعد موجات التغيير التي شهدتها المنطقة العربية، وهناك من يتحدث عن ان المواجهة الحتمية في حوض المتوسط ستكون بين جماعات اليمين

المتطرفة الأوروبية و الأحزاب الصاعدة الإسلامية، و المتضرر الأكبر هي الشعوب المتوسطية و الجاليات المهاجرة.

لذلك على بلدان الحوض المتوسط بحث إمكانية وضع إستراتجية فعالة لتجنب الاستغلال السياسي للقضايا الخاصة بالتمييز و التعصب و الهوية من جانب الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا و الحركات الإسلامية في الدولة العربية، حتى تتجنب وقوع اثار اجتماعيه، اقتصادية وأمنية جسيمة تأتي بنتائج سلبية من شأنها اجهاض مشاريع التعاون الأورومتوسطية، و المستمرة في التعثر منذ عقود(31).

خاتمة

شهدت حقبة الثمانينات و التسعينات صعودا لافتا لأحزاب اليمين المتطرف في أوروبا من خلال الحضور الكبير و غير المتوقع في الانتخابات المحلية و التشريعية، في عدد كبير و مهم من دول الاتحاد الاوروبي، و على الرغم من التباين بين دولة و أخرى إلا أن تنامي صوت اليمين المتطرف يعكس في الواقع أزمة النظم السياسية الاوروبية فصعود تيار اليمين المتطرف في أوروبا لا يرجع فقط إلى قوته الذاتية أو الحاجة الشعبية له فحسب، و إنما يعبر عن أزمة مستحكمة لليمين المعتدل و اليسار المعتدل في أوروبا على حد سواء. بل أكثر من ذالك، فهذا التنامي لأحزاب اليمين الراديكالي يطرح تحديا أو تهديدا لمكتسبات الحداثة و قيم التنوير في المجتمعات الديمقراطية الغربية (الديمقراطية و العلمانية)، فإذا كانت أوروبا في هذه الظروف مطالبة بإعادة ترتيب أسسها المتعلقة بكيانها و هويتها فإن الخوض في علاقاتها مع جيرانها يبقى متأرجحا بين التأييد و الرفض إلى أن يتم معالجة المشاكل الداخلية و الأزمات الخانقة التي تعيشها الحكومات و الشعوب الاوروبية. وهو ما يجعلنا نستنتج أن مستقيل التعاون الأورومتوسطي مرهون بمستقبل أوروبا الموحدة، خاصة في ظل مزيد من البروز لليمين المتطرف في الحياة السياسية ومن ثم لعب دورا فعالا فيها بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، و ذلك من خلال تزايد أعداده من 602 حزب سنة 2000 إلى أكثر من 1000 حزب سنة 2011، والتي وسعت نشاطاتها خصوصا بعد الأزمة الاقتصادية، ويبدو أن التحول السياسي الراهن الذي تشهده القلعة الأوروبية و توحيد القوانين و فتح الحدود ، ستزيد من التمييز بين "نحن الأوروبيون والآخرون" أي بين وجود أوروبا متحضرة و بلدان أخرى "أقل حضارة" وهذا بدوره سيخلق توترات داخل بلدان

الإتحاد الأوروبي بسبب الأقليات التي تصر على نيل حقوقها التي تكفها لها القوانين الدولية بل و الأوروبية نفسها.

الهوامش:

(1)- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة "اليمين المتطرف" على الموقع:
http://www.wikipdia.org

(2)- وردة الإيمان، "ما هو اليمين المتطرف و لماذا سمي بهذا الاسم ؟ "على الموقع:
http://www.ejaaba.com

(3)- سهام لحولين "النازيون الجدد يعودون بقوة و يزحفون على أوروبا " على الموقع:
http://almassae:press.m

(4)- عبد الحميد عبدوس، "المرحلة الثالثة للإسلاموفوبيا و ما بعد ؟" على موقع:
http://www.oulama-dz.org

(5)- عمرو الشويكي، "اليمين المتطرف في أوروبا: هلى هو تيار واحد ؟ السياسة الدولية في الموقع:
http://digital.ahram.org/makalat.asp

(6)- أحمد حسو، العداء للإسلام – سلاح اليمين المتطرف الانتخابي في أوروبا !؟" على موقع:
http://www.assakina.com/politiès /09/02/2013-7h30

(7)- محمد حسين اليوسفي، "المسلمون و صعود اليمين المتطرف في أوروبا "، على الموقع:
http://www.albayar.ae/alyousefi/1.137.03/02/2012

(8)- خميس قشة الحزامي، "عداء المسلمين: أجندة اليمين المتطرف بأوروبا " مجلة الصباح الجديد. . تقارير الأربعاء 5 ديسمبر 2012، العدد 2444..

(9)- هاني عسل، "اليمين الصليبي " الأهرام اليومي في الموقع:
http://digital.ahram.org.eg/makalat.asp?eid=1735

(10)- رحيم العرقي، «أيديولوجية اليمين المتطرف" على الموقع:
http://www.ahewar.org/18/01/2012

(11)- حميد الهاشمي، "العراب و هولندا:الأحوال الإجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا"، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص132.

(12)- حميد الهاشمي، مرجع سابق، ص 211.لينا سياوش، "تصاعد اليمين المتطرف في أوروبا يضع المهاجرين على المحك "، 2012/12/16، على موقع:
http://www.irakere.net

(13)- حسام الدين عبد المجيد، "نموذج الدولة في مواجهة أزمتي الهوية و الاندماج"، المجلة العربية للعلوم السياسية و مركز الدراسات العربية، العدد 33، أفريل 2012، ص 22.

(14)- ستار جابر الجابري، مرجع سابق، ص 12.

(15) – نفس المرجع السابق، ص 16.

(16)- حسام الدين عبد المجيد، "نموذج الدولة في مواجهة أزمتي الهوية و الاندماج"، مرجع سابق، ص 18.

(17)- حسام الدين عبد الحميد، مرجع سابق، ص 19.

(18)- نفس المرجع، ص 20.

(19)- ستار جبار الجابري و "أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا دراسة في الأفكار و الدور السياسي"، دراسات دولية، العدد 35، ص 47.

(20)- ثناء فؤاد عبد الله، "تصاعد اليمين المتطرف في أوروبا يهدد دعوة الإتحاد الاوروبي للتعايش و يهدد بإغلاق الحدود "، جريدة القاهرة، العدد 645، 2012/10/23.

(21)- رحيم العراقي، "إيديولوجية اليمين المتطرف "، الحوار المتمدن، العدد 2164، 2008.

(22)- وكالات أخبار، " اليمين المتطرف يربك أوروبا بسؤال الهوية "، 2010/09/21، على موقع: http://khbar.dk

(23)- David jesuit، Vincent Mahler، « Electoral Support For Extreme Right – Wing Parties: A Subnational Analysis of Western European Elections in the 1990s »، Working Paper No. 391، August 2004.

(24)– نصر الدين الدجبي، " تعايش وضع الأقليات في أوروبا "، 2012، على موقع: http://www.aljazeera.net

(25)- علي إبراهيم صافي، أوروبا إلى أين ؟ وجهة نظر من الداخل "، الحوار المتمدن، العدد 3779، 2012/07/05.

(26)- أحمد حسو، العداء للإسلام – سلاح اليمين المتطرف الانتخابي في أوروبا !؟ على الموقع:

http://www.assakina.com/politics/news/muslims/21873html=xzz2moon5p5o/09/02/20 13.07430.

(27)- أحمد ادريس، "الشراكة الأورومتوسطية: نظرة تقييمية "، تونس: مركز جامعة الدوال العربية، 05 ماي 2010، ص 2.

(28)- محمد العربي مساري، " الهجرة كمحور لعلاقات الاتحاد الارووبي الخارجية "، تقرير مركز الجزيرة للدراسات، العدد 8606، جوان 2010، ص 32.

(29)- محمد مروة، " أحزاب اليمين المتطرف تغزو أوروبا "، جريدة الأخبار، 06 جانفي 2012، على موقع: http://www.alakhbar.com.

(30)- أحمد ادريس، مرجع سابق، ص 23.

(31)- محمد كريم بوخصاص، " تمويل الكراهية ضد المسلمين بالغرب "، 2012/11/23، على موقع: http://www.attajdid.ma .